﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقۡضِي بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ٩٣﴾ [يونس: 93]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

لمّا بـيَّنَ طغيان فرعونَ ونهايتَه، أتْبَعَهُ ببيان أمرِ بني إسرائيل

إنَّ الله تعالى لمّا ضربَ مثَلَ السَّوء بفرعونَ وملئِهِ؛ "أتْبعه بمثَلِ الصَّلاحِ بحال الذين صدَّقوا الرَّسول، واتَّبعوه، وكيف كانت عاقبتُهم الحُسْنى؛ ليُظهرَ الفرقَ بين مصيرَي فريقَيْن جاءَهم رسولٌ، فآمن به فريقٌ، وكفر به فريقٌ، ليكونَ ذلك ترغيبًا للمشركين في الإيمان، وبشارةً للمؤمنين من أهل مكَّةَ"[1]. كما أنَّ من المناسَبة جريًا على ما تقْتضيه الحكايةُ من تفصيلِ حالِ كلتا الفئتين، فلمّا "ذكر ما وقعَ عليه الختمُ في واقعةِ فرعونَ وجنودِه؛ أراد أن يذكرَ ما وقع عليه الختمُ في واقعةِ بني إسرائيل، فقال: ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا﴾"[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿بَوَّأۡنَا﴾: أصْلُ التّبْوِئَةِ: الرُّجوعُ إلى الشّيْءِ، يُقالُ: باء إلى الشّيْءِ، يبوءُ، بوْءًا، أيْ: رجع[3]. والتّبوُّؤ: اتِّخاذُ مكانٍ يسْكُنُهُ، وهو تفعُّلٌ مِن البوْءِ، أي: الرُّجوعِ، كأنّ صاحِب المسْكنِ يُكلِّفُ نفْسهُ الرُّجوع إلى محلِّ سكنِهِ[4]، والمُبوّأُ: مكانُ البَوْءِ، أي: الرُّجوعِ، والمُرادُ المسْكنُ، والباءةُ والمباءةُ، وهي منْزِلةُ القوم، حيثُ يتبوّؤون في قُبُلِ وادٍ أو سندِ جبلٍ. والتّبْوِئةُ أيضًا: التّهْيِئَةُ

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/281، والبقاعيّ، نظم الدّرر: 9/188 - 189.
(2) النيسابوريّ، غرائب القرآن: 3/611، وأبو حيّان، البحر المحيط: 6/104، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3629.
(3) ابن دريد، جمهرة اللُّغة، وابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بوأ).
(4) ابن منظور، لسان العرب: (بوأ)، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/264.

والإعدادُ، يُقالُ: بوّأهُ منزِلًا، أي: هيّأهُ لهُ[1]. والمقصود بـ ﴿بَوَّأْنَا﴾ في الآية: أنزلنا وأسكنّا، أي: بني إسرائيل[2].

2) ﴿مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾: أصلُ (بوأ): يدلُّ على الرُّجوعِ إلى شَيءٍ، والصِّدْقُ - هُنا - بمعْنَى الخالِصِ في نَوعِهِ، أي: مَنزِلًا مَحمودًا مُختارًا[3].

3) ﴿ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾: أصلُ (طَيَبَ) يَدُلُّ على خِلافِ الخَبيثِ[4]، وهو ما تستلذُّه الحواسُّ، وما تستلذُّه النَّفس[5]، يُقالُ: طابَ الشَّيءُ، يَطيبُ، طيبًا وطابًا، أي: لَذَّ أو زَكا[6]. والطَّيِّبُ: الأفضَلُ مِن كلِّ شَيْءٍ[7]. ويأتي بِمعنى الحلالِ[8]. والطَّعامُ الطَّيِّبُ في الشَّرع: ما كان مُتناولًا من حيث ما يجوز، ومِن المكان الَّذي يجوز، فإنَّه متى كان كذلك؛ كان طَيِّبًا عاجلًا وآجلًا لا يُسْتَوْخَم، وعلى ذلك قولُه: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [النحل: 114][9]. والمرادُ بالطَّيِّبات في الآية: الحلالُ المُستلَذُّ.

4) ﴿يَقْضِى﴾: أصْلُ (قَضيَ) يدُلُّ على إحْكامِ أمرٍ وإتقانِه وإنفاذِهِ لِجِهَتِه، قالَ اللّه تعالَى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 12]، أي: أحْكَمَ خَلْقَهُنَّ[10]. والقَضاءُ: الحُكْمُ والفَصْلُ، يُقالُ: قَضَى في الأمْرِ، أيْ: حَكَمَ، وفَصَلَ فيه، والقَضاءُ: الأمرُ. قالَ اللّه تَعالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: 23]، أي: أمر رَبُّك[11]. ويأتي بـ معنى: الأداءِ، تقول: قَضَى دَيْنَهُ، أيْ: أدّاهُ، والقضاءُ: الإنْهاءُ والإتْمامُ، يُقالُ: قَضَيْتُ عَمَلي، أيْ: أنْهَيْتُهُ، وأتْمَمْتُهُ، وسُمّيَ القاضي قاضيًا؛ لأنَّه يَحْكُمُ في الأشْياءِ، ويُنْهي الخِلافَ فيها[12]. والانْقِضاءُ: فَناءُ الشَّيْءِ وذَهابُه، وكذلك التَّقَضّي[13]. ومِن مَعانيه أيضًا: الإيجابُ

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (بوأ).
(2) السّعديّ، تيسير الكريم المنّان، ص: 373.
(3) ابن قتيبة، غريب القرآن، ص: 199، والسّجستانيُّ، غريب القرآن، ص: 122، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/282.
(4) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (طيب).
(5) الرّاغب، المفردات: (طيب).
(6) ابن سِيدَه، المحكم: (طيب).
(7) الزّبيديّ، تاج العروس: (طيب).
(8) ابن عباد، المحيط في اللُّغة: (طيب).
(9) الرّاغب، المفردات: (طيب).
(10) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قضي).
(11) الأزهريّ، تهذيب اللُّغة: (قضي).
(12) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (قضي).
(13) ابن عباد، المحيط في اللُّغة: (قضي).

والإنْفاذُ والإتْقانُ، وجَمْعُ قضاءٍ: أقْضيَةٌ[1]. والمرادُ بقوله: ﴿يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ في الآية: يفْصِلُ بينهم[2].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تـذكـيرُ بنـي إسـرائـيـل على الـتَّـوالي، بما أنعمَ عليهِم من النِّعم الغوالي

يُخبرُ اللّه تعالى عمّا أنعَمَ به على بني إسرائيلَ مِن النِّعَم قائلًا: ولقد أنزَلْنا بني إسرائيلَ مَنازِلَ صالحةً محمودةً، ورَزَقناهم الرِّزقَ الحَلالَ الطَّيِّبَ مِن خيراتِ الأرضِ المُبارَكةِ، فما اختلَفَ بنو إسرائيلَ في الإقرار بنبوَّة محمَّدٍ ﷺ وبمبعثِه، حتَّى جاءَهم ما كانوا به عالِمينَ، فبُعِثَ ﷺ بنعتِه وصفتِه، وجاءَهم القُرآنُ، فاختَلفوا حينئذٍ، فآمن بعضُهم بنبوَّتِه، وكفر بها بعضُهم، ولم يكنْ ينبغي لهم ذلك، إنَّ ربَّك - يا محمد ﷺ - يحكُمُ بين المُختَلِفينَ فيك مِن بني إسرائيلَ يومَ القيامةِ فيما كانوا فيه يختَلِفونَ مِن أمرِك، فيُدخِلُ المؤمنينَ بك الجنَّةَ، ويُدخِلُ المكذِّبينَ بك النّارَ[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

توجيهُ العطفِ بالواوِ في مطلع الآية الكريمة:

عطفُ الصّلاحِ على الفسادِ للتَّرغيبِ والتَّرهيبِ

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ افتتح الجملةَ بواوِ العطفِ عطفًا لها على الجملِ السّابقةِ "فإنَّ جميعَ تلك الجملِ مقصودٌ منها موعظةُ الكفّارِ من العرب بأحوالِ مَن سبقَهم من الأمم في مشابهةِ كفرِهم بكفرِهم وبما حلَّ بهم من أنواعِ العذابِ جزاءَ كفرِهم. فلمّا ضرب اللّه مثلَ السَّوءِ؛ أتبعَه بمثلِ الصَّلاحِ بحالِ الَّذين صدَّقوا الرسولَ، واتَّبعوه"[4]. وفي ذلك ردعٌ للمشركين عن المضيِّ في عتوِّهم، وتثبيتٌ للمؤمنين على إحسانِهم، ويجوزُ في الواوِ أن تكونَ

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (قضي).
(2) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم.
(3) ابن جرير، جامع البيان: 12/285، 286، والقرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 8/381، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 4/296.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/281.

استئنافيَّةً، والكلامُ "مستأنفٌ سِيقَ لبيانِ النِّعمِ الفائضةِ عليهم إثرَ نعمةِ الإنجاءِ على وجه الإجمالِ وإخلالِهم بشكرِها وأداءِ حقوقِها، أي: أسكنّاهم، وأنزلناهم بعدَ ما أنجيّناهم، وأهلكنا أعداءَهم"[1].

سرُّ التَّوكيدِ باللّام وقد في سياق الآية الكريمة:

تأكيدُ التَّباينِ بين النَّقيضيْن؛ والجزاءُ باعتبار الصَّلاحِ والفسادِ

جاء قولُه تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾، مؤكَّدًا باللّام و(قد)؛ تأكيدًا لمضمونِ الخبرِ، وللدَّلالةِ على قوَّةِ النَّقيضِ، فقومٌ أُغْرِقوا، وآخرون أُنْزِلوا مكانًا ذا رزقٍ وخيرٍ.

الإتْيانُ بالفعل (بوّأ) ماضيًا، مضافًا إلى ضميرِ التَّعظيمِ:

عَظمةُ النِّعمةِ من عظمةِ المنعمِ

في قوله جلَّ شأنه: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعلِ الماضي لتأكيدِ تحقيقِ الحدثِ، وأسندَه إلى ضميرِ التَّعظيمِ إظهارًا لعظمةِ ذلك الإنعامِ، "أي: أسكنّا بما لنا من العظمة التي تنْقطعُ الأعناقُ دون علیائِها، وتتضاءلُ ثواقبُ الأفكارِ عن إحصائِها"[2].

توجيهُ التَّعبيرِ بلفظِ ﴿مُبَوَّأَ﴾:

سَعةُ الدَّلالةِ بالثَّناءِ على المكانِ أو على نوعِ ذلك المُبَوَّأ

في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ﴾، عبَّر النَّظمُ الكريم بلفظِ المبوَّأ الذي يحتملُ أن يكونَ المرادُ به اسمَ المكانِ أو المصدرَ[3]، فإذا كان المرادُ به اسمَ المكان، فيكونُ المعنى: أنَّه أنزلَهم مسكنًا كثيرَ الخير، وإذا أُريد به المصدرُ، فيكونُ بيانًا لنوعِ ذلك الإنزالِ، فهو قد أنزلَهم إنزالًا حسنًا.

توجيهُ المتشابه في آية يونس والجاثية:

ناسبَ كلُّ لفظٍ سياقَ ما قبلَهُ، فدلَّ على سموِّهِ في البيان

قال تعالى هنا: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، وفي [الجاثية: 16] ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾، فخُصَّت الآيةُ هنا بـ ﴿بَوَّأْنَا﴾ وفي الجاثيةِ بـ

(1) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 4/174.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/189.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/282.

﴿ءَاتَيۡنَا﴾؛ لأنَّه لمّا كان إهلاكُ فرعونَ وجنودِه، وتمكينُ بني إسرائيل من أرضِهم وإسكانُهم فيها تبويئًا؛ دلَّ على صدق ما وعدَ الله تعالى موسى عليه السلام، وناسبَه لفظُ ﴿بَوَّأۡنَا﴾، أمّا آيةُ الجاثيةِ؛ فقد ذكر قبلَها ما آتى الله جميعَ الناسِ، ناسبَه ذكرُ ما آتاه بني إسرائيل.

إضافةُ لفظِ ﴿مُبَوَّأَ﴾ إلى الصّدقِ:

يُضدِقُ المكانُ بإيفائِه بما يُرادُ منه

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ أضاف المبوَّأ إلى الصِّدق، وذلك أنَّ من "عادةِ العرب أنَّها إذا مدحتِ الشَّيءَ؛ أضافَتْه إلى الصِّدق؛ لأنَّه مع ثباتِه حبيبٌ إلى كلِّ نفسٍ، ويُصْدِقُ ما يُظنُّ به من الخير"[1]، فلمّا كان المَنزلُ الذي أُنزلوه يأتيهم على ما ينتظرُه السّاكنُ من الرَّغَدِ والأمانِ والخيرِ؛ أُضيف إلى الصِّدق إشارةً إلى إيفائِه بما يُنتظَرُ منه، "فالصِّدقُ هو عنوانُ الفضائلِ؛ لأنَّه يتضمَّن صدقَ القولِ وصدقَ النَّفسِ والضَّميرِ، وهو عنوانٌ لكلِّ عملٍ فاضلٍ ومكانٍ طيّبٍ"[2].

سرُّ تنكيرِ الصِّدقِ في سياق الآية الكريمة:

التَّعظيمُ من دلائلِ التَّنكير، ومن بوّأه الله؛ فقد علا قدره

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بصيغة التَّنكيرِ في ﴿صِدۡقٖ﴾ للدَّلالةِ على التَّعظيم والتَّفخيم، وذلك لتعظيمِ الخيرِ الَّذي في ذلك المُبَوَّأ، فالتَّنكيرُ مستعملٌ في التَّعظيمِ والتَّفخيم.

بلاغةُ جناسِ الاشتقاقِ في ﴿بَوَّأۡنَا﴾، و﴿مُبَوَّأَ﴾:

الاهتمامُ باللَّفظِ لتأكيدِ المعنى، من بيان السّياق

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ﴾ جناسٌ اشتقاقيٌّ؛ حيث جيء بلفظَيْن من جَذرٍ واحدٍ في جملةٍ واحدةٍ، والمرادُ من ذلك التَّنبيهُ على مكانةِ ذلك المُبَوَّأ بتكريرِ لفظٍ من ذات الجذرِ، كما أنَّ فيه تشنيفًا للمَسْمَعِ، وكسرًا للمَلالِ بتكريرِ اللَّفظِ بصيغةٍ مختلفةٍ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/189.
(2) أبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/3629.

وجهُ العطفِ بالواوِ في السّياق الكريم:

عطف النَّظمُ الجليل رِزقَ الطَّيِّبات في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ على قوله جلَّ شأنُه: ﴿بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾؛ لِما بينَ السَّكنِ والرِّزقِ من تلازم؛ فلمّا "كان المَنزلُ لا يطيبُ إلّا بالرِّزقِ، وكان التَّعبيرُ عنه بالمُبَوَّأ دالًّا على الرِّزقِ بدلالةِ الالتزامِ؛ صرَّح به، فقال: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم﴾"[1].

تعظيمُ الإنعامِ بالتَّصريحِ بالرِّزقِ المفهومِ بدلالةِ الالتزامِ

التَّعبيرُ عن فعلِ الرِّزقِ ماضيًا، معظِّمًا:

في قوله تعالى: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾، آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن الرِّزق بالفعل الماضي، تأكيدًا لكونِه حَدَثًا مُنْجَزًا، ووعْدًا مُحقَّقًا، ثمَّ أسندَه إلى ضميرِ التَّعظيم، تنويهًا على عظمةِ ذلك الرِّزقِ، أي: رزقناهم "بما لنا من العظمةِ"[2]، فضلًا عن الضَّميرِ العائدِ إلى بني إسرائيل، وإنْ كان اللّه تعالى يرزقهم، كما يرزقُ جميعَ الخلائقِ، فأفردَهم بالذِّكرِ للنَّصِّ على أنَّ المقصودَ بذلك الرِّزقِ العظيمِ هم دونَ غيرِهم، إظهارًا لعظيمِ إنعامِه عليهم.

الإنعامُ بعظيمِ الرِّزقِ، لكونه صادرًا من الرَّزّاقِ الأعظم

دلالةُ (مِن) في شبه الجملة ﴿مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ أدخلَ (مِن) الدّالَّةَ على البيانِ؛ لبيانِ جنسِ الرِّزقِ الذي أنعمَ عليهم به، وهو أظهرُ من أنْ تكونَ تبعيضيَّةً؛ إذ إنَّ ذلك المُبَوَّأ قد حوى كلَّ ما يبتغيه المرءُ من طيبِ العيشِ، وكونُها بيانيَّةً أنسبُ للسّياقِ في بيانِ الإنعامِ عليهم بالرِّزقِ العظيمِ.

وسِعَ رزقُه لهم كلَّ ما يطيبُ به العيشُ، ويهنأ به الحال

نكتةُ تعريفِ الطَّيِّباتِ وجمعِها في السّياق:

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ جاء لفظُ الطَّيباتِ بصيغةِ الجمعِ دلالةً على التَّكثير، وعرَّفها بالألفِ واللّامِ لكونها

مِن عِظَمِ رزقِه كثرةُ الطَّيباتِ المُنعِم بها على العباد

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/189.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/190.

من جنسِ ما يطيبُ للإنسان، فهي تشملُ "الحسّيَّةَ حَلاءً واشتهاءً من الفواكهِ، والحبوبِ، والألبانِ، والأعسالِ، وغيرها. والمعنويَّةَ من الشَّريعةِ، والكتابِ، والمعارفِ كما تقدَّم وعُدُنا لآبائِهم بذلك"[1]، فالجَمعُ يشيرُ إلى عديد ما أنعمَ اللّه تعالى عليهم به من الطّيباتِ من جميعِ الأنواعِ، والتَّكثيرُ المدلولُ عليه بالجمع يناسبُ إسنادَ الرِّزقِ إلى ضميرِ التَّعظيم.

معنى الفاء في عبارة: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ﴾:

لمّا أنجزَ اللهُ تعالى وعدَه المصدوق؛ أظهروا اختلافَهم المسوق

افتتح قولَه جلَّ شأنُه: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ بالفاء السَّببيَّةِ: "أي: فتسبَّبَ عن صدقنا لهم في الوعدِ أنَّهم ما ﴿ٱخۡتَلَفُواْ﴾، أي: أوقعوا الخُلفَ المُفضي إلى جعلِ كلٍّ منهم صاحبَه خلفَه ووراءَ ظهرِه، واستهان به ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ الموجِبُ لاجتماعِهم على كلمةٍ واحدةٍ لِما له من الضَّبطِ حتّى يكونَ أتباعُه على قلبٍ واحدٍ"[2].

دلالةُ التَّعبيرِ عن الاختلافِ بالماضي المجموع:

اختلافُهم ظاهرٌ محقَّقٌ، وذكره في الوحي منقول مصدَّقٌ

في قولِه جلَّ شأنُه: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ عن اختلافِهم بالفعل الماضي للدَّلالةِ على تحقُّقِ الاختلافِ، وأسندَه إلى ضميرِ الجماعةِ للإعلام بكونِهم، فعلوه جماعةً، فكان الخلافُ بينهم منتشرًا ظاهرًا، لم يَسْلَمْ منه أحدٌ.

وجهُ التَّعبيرِ عن الاختلافِ بصيغةِ الافتعالِ:

كان اختلافهم فظيعًا، فتجرّأ بعضُهم على بعض بالتَّكفير

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ عبَّر النَّظمُ الجليل عن الاختلاف بصيغةِ الافتعالِ، و"أُريدَ به شدَّةُ التَّخالفِ، ولا يُعرف لمادةِ هذا المعنى فعلٌ مجرَّدٌ، وهي مشتقَّةٌ من الاسم الجامدِ، وهو الخَلفُ بمعنى الوراءِ، فتعيَّن أنَّ زيادةَ التّاءِ للمبالَغة، مثل: (اكتسب) مبالغةٌ في (كسب)، فيُحملُ على خلافِ تشديدٍ، وهو

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/190.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/190.

مُضادَّةُ ما جاء به الدِّينُ، وما دعا إليه الرَّسولُ ﷺ، وهو المناسبُ للسّياق؛ فإنَّ الكلامَ ثناء مُردَفٌ بغاية تؤذِن أنَّ ما بعدَ الغايةِ نهايةٌ للثناء وإثباتٌ للَّوم؛ إذْ قدْ نفى عنهم الاختلافَ إلى غايةٍ تؤذِن بحصول الاختلافِ منهم عندَ تلك الغايةِ، فالذين لم يختلفوا هم الذين بوَّأهم اللّه مُبَوَّأ صدقٍ، وقد جاؤوا بعدَهم إلى أنْ جاءَ الذين اختلفوا على الأنبياءِ"[1].

دلالةُ (حَتّى) في السّياق الكريم:

دوام النِّعمةِ بالاتِّباعِ، ومآلها في الاختلافِ إلى الانقطاع

في قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ عبَّر بـ (حتّى) الدالَّةِ على الغايةِ بعد ذكرِ الاختلافِ المنفي، وتعقيب ذلك النَّفي المُشْعِرِ بالمدحِ والثَّناء "بالغاية يؤذِن بأنَّ ما بعد الغاية منتَهى حالةِ الشُّكرِ، أي: فَبَقَوا في ذلك المبوَّأ، وفي تلك النِّعمةِ، حتّى اختلفوا، فسُلبتْ نعمتُهم"[2].

بيانُ تعريفِ العلمِ ودلالتُه في السّياق البليغ:

لـم يكـن اختلافُهم إلّا بمجيء العلمِ الدّاعي للمعرفةِ والتَّبصُّر

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ عرَّف العلمَ إشارةً للوحي المنزَّلِ إليهم، "أي: ما تفرَّقوا على مذاهبَ شتّى في أمر دينِهم إلّا من بعدِ ما جاءَهم العلمُ الحاسمُ لكلِّ شبهةٍ، وهو ما بين أيديهم من الوحي الذي يَتْلونَهُ، أي: وما كان حقُّهم أن يختلفوا، وقد بيَّنَ اللّه لهم، وأزاحَ عنهم اللَّبسَ"[3]، فأسبابُ الاختلافِ منتفيةٌ، ومع ذلك اختلفوا.

بلاغةُ المجازِ المرسلِ في الآية:

أنزلَ ما جاءهم من الوحي منزلةَ العلمِ كلِّهِ لكفايتِه ونبله

في قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ مجازٌ مرسلٌ، والعلاقةُ المفعوليَّة؛ إذ أطلقَ المصدرَ على المفعولِ، أي: جاءهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/282.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/283.
(3) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/61.

المعلومُ، فالعلمُ هو ما بلغَهم من الوحي[1]، فأطلقَ عليه العلمَ للمبالغةِ في مكانةِ ما جاءَهم، فجعلَه العلمَ كلَّه لِما احتواه من الحقائقِ الصَّحيحةِ.

بلاغةُ الاستعارةِ المكنيَّةِ في سياق العِلْم:

مجيء العلم كمجيء الشَّخصِ الَّذي لا يَخفى على العينِ

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ استعارةٌ مكنيَّةٌ؛ حيث شبَّه العلمَ بشخصٍ يجيء، فحذفَ المشبَّهَ به، وأبقى قرينةَ المجيءِ، بجامع الظُّهورِ والانكشافِ والبيانِ، فالعلمُ حاضرٌ مكشوفٌ كحضورِ الشَّخصِ الذي لا يُشكُّ به، وكذلك العلمُ الذي حصل لهم، فهو استعارةٌ مكنيَّةٌ الغرض منها تأكيدُ حصولِ العلمِ الذي لا شبهةَ فيه لهم.

متشابه النّظم:

جيء بـ الحرف (حتّى)، وتفصيلُ الكفر والبغي يناسبُه التَّأكيدُ بالقصر

قوله عزَّ ذكرُه: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾ يشابِهُ قوله تعالى: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾ [الجاثية: 17]، فلِمَ خُصَّتْ كلُّ آية بما فيها بعدَ قوله: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ﴾؟ والإجابةُ عن ذلك: أنَّ الآيةَ في سورةِ يونس بدأت بقوله: ﴿وَلَقَدۡ بَوَّأۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدۡقٖ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾ فلمّا كان مجيءُ العلمِ نهايةَ عدم اختلافِهم؛ ناسبَهُ قولُه: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُۚ﴾. أمّا الآيةُ في سورةِ الجاثية؛ فقد بدأت بقوله: ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُم بَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِۖ﴾ بعد قوله: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الجاثية: 16]؛ فلمّا كان ذلك تفصيلًا وتأكيدًا لِما آتاهم الله من وسائل العلمِ التي تمنعُهم من الاختلاف؛ ناسبَهُ تأكيدُ اختلافِهم بأسلوب القصرِ (ما وإلّا)، وذكرَ سببَ الاختلافِ بقوله: ﴿فَمَا ٱخۡتَلَفُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ﴾.

(1) القاسميّ، محاسن التّأويل: 6/61.

بلاغةُ التَّذييلِ بالجملة آخر الآية:

تـهـديـدٌ ووعـيـدٌ لـلـحـاضـريـن بسالفِ القَصصِ

الجملةُ في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ جاءتْ في ختام الآيةِ، بعد ذكرِ الإنعامِ واختلافِهم بعد مجيءِ العلم، فهي "تذييلٌ وتوعُّدٌ، والمقصودُ منه: أنَّ أولئك قومٌ مضوا بما عمِلوا، وأنَّ أمرَهم إلى ربِّهم كقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة: 134]، وفيه إيماءٌ إلى أنَّ على الحاضرين اليوم أنْ يفكِّروا في وسائلِ الخلاصِ من الضَّلال والوقوع في المؤاخذةِ يومَ القيامةِ"[1].

نكتةُ التَّوكيدِ بإنَّ في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾:

الإخبارُ بالغيبِ يقتضي التَّأكيدَ، لـضـمـان التَّصديق

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ افتتح الجملةَ الخبريَّةَ بحرف التَّأكيد (إنّ) تأكيدًا للخبر، وهذا التَّأكيدُ يقتضيه سياقُ الإخبارِ عن الإنعامِ عليهم، ثمَّ إتباعُه بكونِه سيحاسبُهم بالإنعامِ عليهم بالدُّنيا قد يُفهم منه دوامُ الإنعامِ بغَضِّ النَّظرِ عن أعمالِهم، فجاء تأكيدُ الإخبارِ عن حسابهم دفعًا للإنكارِ المظنونِ، ولكونه إخبارًا بالغيب فيقتضي تأكيدَ مضمونِه، كما أنَّ هذا التَّأكيدَ يُعَدُّ تمهيدًا لذكر الشَّكِّ الآتي في الآيةِ اللّاحقةِ.

نكتةُ إيثارِ لفظِ الرُّبوبيَّةِ في قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ﴾:

الـقـائـمُ على مصالحِ العبادِ، لا تـضـيـعُ الحقوقُ عندَه مطلقًا

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بلفظ الرُّبوبيَّةِ دون الاسمِ الجليلِ إشارةً إلى أنَّ الرَّبَّ المحسنَ القائمَ على مصالح العبادِ هو مَن يقومُ على مصالحِهم يومَ القيامةِ بإعطاء كلِّ ذي حقٍّ حقَّه.

بيانُ إضافةِ لفظِ الرَّبِّ إلى كافِ الخطابِ:

مَـن سبـقَ منه الإحسانُ، يُنتظرُ مـنـه الـدَّوامُ بغاية الاطمئنان

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ آثر النَّظمُ الكريم إضافةَ لفظِ الرَّبِّ إلى ضمير المخاطبِ العائدِ للنَّبيِّ ﷺ تثبيتًا له وتأييدًا،

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 11/283.

أي: إنَّ ربَّك "المحسنَ إليك بإيصاءِ الأنبياء بك ووصفِك في كتبِهم وجعلِك صاحبَ لواءِ الحمْدِ في القيامة ﴿يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾"[1]، ففيه تطمينٌ وحِفْظٌ من الضِّيق.

بلاغةُ الالتفات بالخطابِ باسم الرُّبوبيَّة تأنيسٌ للمخاطبِ المكرم:

أسلوب الالتفات تشويق للإخبار وتلوين للسّياقات

في الآية التفاتٌ من التَّكلُّم إلى الغَيْبة؛ والغايةُ من ذلك: التَّعبيرُ بصفة الرُّبوبيَّةِ مضافًا إلى ضمير الخطابِ العائدِ للنَّبيِّ ﷺ تأنيسًا له بأنَّ مَن يحكمُ بينهم هو ربُّك القائمُ على أمرك، ومن ضِمْنِ شأنِك أنْ ينزِّلَ بمن كذَّب رسالتَك ما يستحقُّه من سوءِ المآلِ.

فائدةُ صيغةِ المضارعِ في لفظِ ﴿يَقْضِى﴾:

زمانُ القضاءِ ممتدٌّ متطاولٌ، لا حدود له ولا آماد

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾، آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارعِ عن قضائه ﷻ للدَّلالةِ على أنَّه قضاءٌ يدومُ زمانًا طويلًا، وأنَّه يقتضي التَّجدُّدَ والدَّوامَ.

فائدةُ الإطنابِ بقولِه: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾:

التَّهويلُ بالإشارة إلى أنَّه كائنٌ في يومٍ عظيمٍ

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ إطنابٌ بذكر ما لا يُجهل، فلا خلافَ أنَّ قضاءَ اللّه تعالى بين النّاس في الخلافِ كائنٌ يومَ القيامة، فالإخبارُ به من الإعْلامِ بما هو معلومٌ؛ فلا بدَّ في الكلامِ البليغِ من فائدةٍ تتحصَّلُ من الإخبارِ بذلك، فلمّا كان ما سبقَ تهديدًا عظيمًا، زاده هولًا وعظمةً بالإخبار عن كونِه سيكونُ في يومٍ هو أعظمُ الأيامِ[2].

معنى (في) في قوله: ﴿فِيمَا كَانُوا۟﴾:

المُختلفُ فيه مَيْدانٌ للقضاءِ، وموئل للرَّجاء

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ عبَّر بـ (في) الدّالَّةِ على الظَّرفيَّةِ المجازيَّةِ، فكأنَّ القضيَّةَ التي يُحكم فيها تتحوَّلُ إلى ميدانٍ للتَّحاكمِ والقضاءِ.

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/190.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 9/190.

إيثارُ الموصولِ (ما) في قولِه: ﴿فِيمَا كَانُواْ﴾:

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ باسم الموصولِ (ما) الدّالِّ على العموم، للدَّلالةِ على أنَّ القضاءَ سيتعلَّقُ بكلِّ ما وقع فيه خلافٌ بينهم، والحاكمُ العادلُ لا يخفى عنه شيءٌ، ولا يغيبُ عن داعي العدالة أيُّ شيء مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: 47].

حكمُ العدالةِ لا يغيبُ عنه شيءٌ، لإحاطته بكلِّ شيء

فائدةُ فعلِ الكينونةِ (ماضيًا، مجموعًا):

في قوله تعالى: ﴿فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، لمّا كانوا في الاختلافِ راسخين، وعليه دائمين وثابتين، حتّى كأنَّهم امتهنوه، ودَأبوا عليه الزَّمانَ الطويلَ عبَّر عن ذلك بالفعلِ (كان) للدَّلالةِ على رسوخِ ذلك الفعلِ فيهم، والتَّعبيرُ عن ذلك بضميرِ الجمعِ للدَّلالةِ على أنَّهم كانوا في ذلك الفعلِ مُتَوافقين، والخلافُ بينهم واقعٌ على مستوى الجماعةِ لا الأفرادِ.

رسَخوا في الاختلافِ، وكان كلُّ حزبٍ بما لديهم فرحين

سرُّ تقديمِ شبهِ الجملةِ (فيه) على ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾:

في قوله جلَّ شأنه: ﴿كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ قدَّم النَّظمُ الجليل شبهَ الجملةِ من الجار والمجرور ﴿فِيهِ﴾ على الجملة الواقعةِ خبرًا للفعلِ النّاقصِ، فلم يقلْ: (فيما كانوا يختلفون فيه)، لِما في ذلك من مراعاةٍ للفاصلةِ اهتمامًا بالتَّأثير الصَّوتيِّ، كما فيه إشارةٌ إلى أنَّ الاهتمامَ بما يحكمُ فيه كائنٌ على ما وقع فيه اختلافٌ، فالقضيَّةُ المختَلَفُ فيها أهمُّ من الاختلافِ ذاته، فقدَّم ذكرَ ضميرِها في الجارِّ والمجرورِ إشارةً إلى تلكُمُ الأهميَّة.

المحكومُ فيه أهمُّ من الاختلافِ، فقُدِّم للاهتمام به

بلاغةُ ردِّ العجزِ على الصَّدرِ:

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿فَمَا ٱخْتَلَفُواْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [يونس: 93] من فنون

ردُّ آخرِ الكلامِ على أوَّلِه، يزيدُ الرَّصفَ سبكًا والسّياقَ ربطًا

البديعِ بردِّ العجزِ على الصَّدرِ[1]؛ إذ جاء أحدُ اللَّفظين المكرَّرَيْن (اختلفوا، ويختلفون) في أوَّل العبارةِ والآخرُ في آخرِها؛ وفائدةُ ذلك الاهتمامُ باللَّفظِ المكرَّرِ، وعلى الأخصِّ مجيئه في الختام، حيث تتعلَّقُ الأسماعُ بختمِ الكلامِ، فإذا به يعودُ على أوَّله، فيزيدُ ذلكَ ربطَ الكلامِ وسبكَه.

فنُّ الإرصادِ أو التَّسهيمِ في سياق الآية:

تهيئةُ السّامعِ بذكرِ القضاءِ والاختلافِ، لجودةِ السَّبكِ المعنويِّ

في قوله جلَّ شأنُه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فنُّ الإرصاد، أو التَّسهيم[2]، لِما في الآيةِ من ألفاظٍ تفيد التَّهيئةَ والإعدادَ، فلمّا ذكر القضاءَ يومَ القيامة بينهم؛ دلَّ ذلك على التَّمهيدِ لذكرِ الاختلافِ، لا سيَّما وأنَّ في الآية ردَّ العجزِ على الصَّدرِ بتكرارِ لفظَيْن من الاختلافِ، فتعاضدَ ذلك على حسنِ السّياقِ وجمالِ البناءِ وجودةِ السَّبكِ.

سرُّ إيثارِ التَّعبيرِ بالفعلِ ﴿يَخْتَلِفُونَ﴾ دونَ (مختلفين):

اختلافُهم دائمٌ لا ينقطعُ، وذلك قانونُ الحياةِ والوجودِ

في قوله عزَّ ذكرُه: ﴿فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ آثر النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالفعل المضارع دونَ الاسم تعبيرًا عن اختلافِهم؛ للدَّلالةِ على استمرارِهم بالاختلاف، وكأنَّ اختلافَهم لمّا يزلْ إلى حين الحكمِ والمقاضاةِ.

توجيهُ المُتشابَه بين هذه الآية في يونس، وآيتي يونس والنَّمل:

كلُّ سياقٍ ورد في عبارة (إنَّ ربَّكَ يقضي بينهم) ناسبَ سياقه بدقَّة

في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ يوجد تشابهٌ مع قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم بِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [النّمل: 78]، وقوله جلَّ شأنه: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ

(1) ردّ العجز على الصَّدر: ويسمّى التَّصدير: هو "أن يجعل أحد اللَّفظين المكرَّرَيْن أو المتجانسيْن أو الملحقيْن بهما في أوَّل الفقرة، والآخرَ في آخرها". يُنظر: بهاء الدّين السّبكي، عروس الأفراح: 2/293.

(2) الإرصاد: "ويسمّيه بعضهم: التَّسهيم، وهو أن يجعل قبلَ العجز من الفقرة أو من البيت ما يدلُّ عليه إذا عرف الرويَّ، نحو: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾". يُنظر: الإسفراييني، الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم: 1/99.

يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [السّجدة: 25]، حيث ورد في آيتي يونس والنَّمل قوله تعالى: ﴿يَقْضِى﴾، وفي آيةِ السَّجدةِ وَرَدَ قولُه: ﴿هُوَ يَفْصِلُ﴾، وفي آيتي يونسَ والسَّجدةِ قولُه: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، ولعلَّ ذلك يرجعُ إلى أنَّ آيتي يونسَ والسَّجدةِ تتحدَّثان عن بني إسرائيل واختلافِهم فيما جاءَهم من العلم، والمرادُ به رسولُ الله ﷺ والقرآنُ في آيةِ يونسَ، أو اختلافُهم في القرآن الكريم، فمنهم مَن يؤمنُ، ومنهم مَن لا يؤمنُ به في آيةِ السَّجدةِ، ولمّا كانت الدُّنيا دارَ اختلافٍ، والآخرةُ دارَ قضاءٍ وفصلٍ بين المختلفين، وكان القضاءُ معناه بيان أيِّ المختلفين على هدًى وأيُّهم في ضلال مبين، وكان الفصل معناه التَّفريقُ بين المختلفين تفريقًا حاسمًا لا رادَّ له بوجوب الجنَّةِ ووجوبِ النّارِ، وكان القضاءُ مقدِّمةً للفصل، وكانت سورةُ يونسَ قبلَ سورةِ السَّجدةِ ترتيبًا ونزولًا؛ ناسبَ ذلك اختصاصَ سورة يونسَ بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾، واختصاصَ سورة السّجدةِ بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ﴾. ولمّا كان أكثرُ بني إسرائيل لا يؤمنون بالرَّسولِ ﷺ ولا بالقرآنِ حسدًا، وبعدَ أن كان بنو إسرائيل مفضَّلين على العالمين، ولمّا اعترضوا على مرادِ الله واختيارِه، ولمّا كان هذا الاعتراضُ لا قيمةَ له؛ ناسبَ ذلك إنزالُ المُنكرِ منزلةَ غيرِ المُنكرِ، فأكَّد الخبرَ بمؤكِّدٍ واحدٍ (إنّ) في آية يونسَ، ولمّا كان بنو إسرائيل لا يؤمنون بالقرآن؛ ناسبَ ذلك تأكيدَ الخبرِ بأكثرَ من مؤكِّدٍ (إنّ) وضميرِ الفصلِ الذي يفيدُ قصرَ ما بعدَه عليه في آية السَّجدةِ؛ مراعاةً لحال بني إسرائيل، وتثبيتًا من الله لرسولِه ﷺ، وأتْباعِه، أمّا آيةُ النَّملِ؛ فهي خاصَّةٌ بمَن آمن بالقرآن الكريم، ومَن لم يؤمنْ به من جميعِ الأممِ، فهؤلاء يقضي بينهم الله بحكمه، ولمّا كان ذلك عامًّا، وليس خاصًّا باختلافهم في القرآن؛ ناسبه عدم ذكر قوله: ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾، ولمّا كان القضاءُ بالحكم يلزمُه قوَّةٌ تنفِّذُه، وتَغلِبُ كلَّ شيءٍ، ولا يَغلبُها شيءٌ، ويلزمُه علمٌ راسخٌ كاملٌ تامٌّ بكلِّ شيءٍ؛ ناسبه وصفُ الله بأنَّه العزيزُ العليمُ بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

دلالةُ (يقضي)، و(يحكم):

القضاءُ: يَدُلُّ عَلى إحْكامِ أمْرٍ وإتْقانِه وإنْفاذِه لِجِهَتِه، قالَ الله تَعالى: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ

القضاءُ الفصلُ في الأحـكـام، والـحـكـمُ منعُ الظُّـلـمِ وإقـامـةُ العدلِ

سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: 12] أي: أحْكَمَ خَلْقَهُنَّ. والقَضاءُ: الحُكْمُ، قالَ اللّه سُبْحانَهُ في ذِكْرِ مَنْ قالَ: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ﴾ أي: اصْنَعْ واحْكُمْ، ولِذَلِكَ سُمّيَ القاضي قاضيًا؛ لِأَنَّهُ يُحْكِمُ الأحْكامَ، ويُنْفِذُها[1]. وهو فصل الأمر قولًا كان ذلك أو فعلًا، كقوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: 23] أي: أمرَ بذلك، وقال: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: 4]، فهذا قَضاءٌ بالإعلامِ والفصلِ في الحكم، أي: أعلمْناهم، وأوحيْنا إليهم، ومن القولِ: قضى الحاكمُ بكذا، فإنَّ حُكْمَ الحاكم يكونُ بالقول[2]. والحُكم: المَنْعُ. وأوَّلُ ذَلِكَ الحُكْمُ، وهوَ المَنْعُ مِنَ الظُّلْمِ[3]. والحُكْم بالشيء: أن تقضي بأنَّه كذا، أو ليس بكذا، سواءٌ ألزمت ذلك غيرَه، أو لم تلزمْه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِۚ﴾ [النساء: 58][4]، وأحْكَمْتُ وحَكَّمْتُ بِمَعْنى: مَنَعْتُ ورَدَدْتُ، ومِنْ هَذا قيلَ لِلْحاكِمِ بَيْنَ النّاسِ: حاكِمٌ؛ لأنَّه يَمْنَعُ الظّالمَ مِنَ الظُّلْمِ[5]. وعبَّر في الآية بالقضاء؛ لأنَّه يفصل بينهم، ولم يرِدْ أنَّه يمنع الظُّلْمَ بينهم يومَ القيامة؛ لأنَّهُ لا ظلمَ هناك.

(1) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حكم).
(2) الرّاغب، المفردات: (قضى).
(3) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (حكم).
(4) الرّاغب، المفردات: (حكم).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (حكم).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1445هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40 [إشراف
مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 20 ، 812 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-17-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 20 : المجلد العشرون، سورة يونس من الآية 76 إلى سورة هود الآية 40.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-17-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-6073958 بتاريخ 2024/02/06م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»